

أوراق الدعوة الفاطمية: البهرة في البحرين «2»

حلقات يكتبها: وسام السبع
Wessam_abbas@yahoo.com



الشيخ مقداً أصغر عبد القادر زين الدين

مطالبته بالخلافة الفاطمية بعد أبيه المستنصر، حيث انتفض المستعلي بوجه أخيه نزار الذي يسمى أتباعه في الهند (الخواجا) Khodjah. والبهرة هي طائفة إسماعيلية تنسب إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق، وتعتبر الإمامة في نسله، وبالتالي فهي لا تعترف بالإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق عند الشيعة الإمامية، وهذا هو جوهر الخلاف بين الإسماعيلية والإمامية.

يتركز وجود البهرة في غرب الهند، وأصلهم من الهنود المختلطين بالعرب اليمانيين، كما أن هناك حضوراً لأبناء الطائفة في دبي والشارقة وأبوظبي والبحرين والكويت وعمان والسعودية، وفي كل هذه البلدان ينشط البهرة عموماً في قطاع التجارة. تعتبر البهرة من فرق المذهب الإسماعيلي، وترتبط بالذين كانوا يداهون عن خلافة المستعلي (495 - 784 هـ / 1101 - 1491م) في

الشيخ مقداً أصغر لد «الوطن»: ليست لنا علاقة بالإسماعيلية السليمانية ووجودنا يتركز في الهند وباكستان

التجارة بين اليمن والهند أسهمت في بث الدعوة الإسماعيلية بين الهندوس بعد إسلامهم



أحد التجمعات الدينية للبهرة في الهند ويرى سلطان البهرة السابق طاهر سيف الدين خطيباً



سلطان البهرة د. محمد برهان الذي احتفلت الطائفة مؤخراً بعيد ميلاده 96



بيت الدعوة أحد المقامات التاريخية للدعوة البهريّة في اليمن

من وحي التاريخ

تقول الإسماعيلية بأن الإمام جعفر الصادق نص على إمامة ولده الأكبر إسماعيل، لكن إسماعيل توفي في حياة أبيه بالعريش في المدينة المنورة، سنة 145هـ ودفن في البقيع، وقد سبب موته قبل وفاة أبيه اضطراباً كبيراً عند الشيعة مما أدى إلى تضارب الآراء وأفضى إلى نشأة فرق وطوائف متعددة. وقلادة النص عليه، حسب الرؤية الإسماعيلية، أن انتقلت الإمامة في عقبه باعتبار أن النص لا يرجع القهفري، والقول بالبداء محال، إذ لا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه. وبذلك انتقلت الإمامة بعد إسماعيل إلى ولده محمد بن إسماعيل، فالإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، ولا تكون إلا في الأعقاب. ويذكر الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ) مؤرخ الدعوة الإسماعيلية في كتابه (زهر الماني) أن موسى الكاظم لم يجعله الصادق إماماً إلا ستراً على ولئلا يطلع ما خص به أهل العداوة والعداء، حتى يستطيع الإمام المستقر الحقيقي النهوض بأعباء الدعوة سراً. وهو ما يتعارض مع عقيدة الشيعة الإمامية التي ترى انتقال الإمامة من بعد الإمام الصادق إلى الإمام الكاظم، وثمة رواية وردت في كتاب (عيون الأخبار) للداعي إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبد الله بن علي بن الوليد سليل أسرة "فادت" الإسماعيلية المستعالية الطيبية لأكثر من ثلاثة قرون من بداية القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي، تقول الرواية أن محمد بن إسماعيل شوهد في البصرة بعد موت أبيه الإمام الصادق يعالج امرأة، وأنه اضطر إلى الخفي عن عيون السلطة العباسية التي كانت ترصد أماكن وجوده للفضاء عليه.

تبني الدعوة المستعالية

لقد اتجه شيعة الهند القدامى إلى تبني الدعوة المستعالية، وأصبح يطلق عليهم اسم البهرة، وأصبح هذا الاسم معاً عليهم منذ أكثر من أربعة قرون، ومعنى كلمة البهرة باللغة الكجراتية تاجر، واللغة الكجراتية هي إحدى اللغات القومية المنتشرة في مقاطعة كجرات في غربي الهند. علاوة على أن "بهرة" أيضاً هو اسم لقبيلة يمنية، وقد عرف أوائل هذه الجماعة الذين قدموا من اليمن إلى الهند باسم البهرة تشبهاً بلها. ومن العوامل التي أثرت في نقل الدعوة إلى الهند ما كان من صلات تجارية بين اليمن والهند، وإقبال الإسماعيلية على التجارة، كل ذلك أتاح للدعاة فرصة بث الدعوة بين الهندوس حتى تكونت منهم مجموعات إسماعيلية مستعالية لاسمها في جنوبي يومية. بعد انتقال الدعوة إلى الهند انقسمت إلى فرقتين، فرقة السليمانية وفرقة الداودية، كان الانقسام بسبب من يتولى مرتبة الداعي المطلق؛ فالداودية تنسب إلى الداعي داود بن قطب شاه المتوفي سنة 1021هـ، والسليمانية تنسب إلى الداعي سليمان بن حسن الذي أتى أتباعه الاعتزاف بداود، واعتزفوا بسليمان سنة 997هـ داعية لهم.

تعمير مساجد مصر الفاطمية

وطائفة البهرة في البحرين ومنطقة الخليج يحرسون على تعمير مساجد مصر الفاطمية ومقاماتها الدينية وهم ينتسبون إلى الداودية أو الطيبية. الإمام الطيب هو أحد أئمة الطائفة، وقد استمرت الإمامة في ولده من بعده، وقد دخل

الإمام الطيب الستر سنة 525هـ والأئمة المستورون من نسله إلى الآن لا يعرف عنهم شيئاً، حتى أن أسماءهم غير معروفة، وعلماء البهرة أنفسهم لا يعرفونهم، ولذلك قد تسمى الطائفة بالطيبية، كما قد تسمى بالداودية نسبة إلى الإمام داود بن قطب شاه، وينتشر البهرة الداودية في الهند وباكستان منذ القرن العاشر الهجري.

كانت الهند ومازالت عبارة عن خليط من الديانات والمذاهب والتقاليد ومزيج من العرقيات، إلا أن المسلمين والهندوس كانوا يمثلون أكبر هذه التكتلات الدينية في الهند القديمة التي كانت تشمل باكستان، ولأن المسلمين انفصلوا عن الهندوس بعد أن عاشوهم قروناً طويلة من الزمن، لذا فقد ظلت لديهم بعض التقاليد الهندوسية، حتى بعد انفصالهم في دولة مستقلة ذات طبيعة إسلامية.

ويعتبر الدين المحور الرئيس للثقافة الهندية ويمكن ملاحظة ممارسته في مختلف أوجه الحياة العامة في مناطق الهند المختلفة، خاصة الديانة الهندوسية التي يعتقد حوالى (80%) من سكان الهند. أما الدين الإسلامي فهو الدين الثاني في الهند إذ يعتنقه حوالي (10%) من السكان، بينما يعتقد حوالي (5%) آخرون الديانتين السيخية والمسيحية وبقية السكان - حوالي 45 مليون نسمة - يعتقدون الديانات البوذية والجينية والبهائية وغيرها.

يحافظ البهرة في الهند بكثير من الكتب الفاطمية التي نقلت إليها من اليمن ومصر خاصة بعد سقوط الدولة الفاطمية، وما لحق بثراث الفاطميين من تدمير وإحراق، ومن بين هذه الكتب (السجلات المستنصرية) و(دعائم الإسلام) للفاقي النعمان وهو كتاب الفقه الأساس عند طائفة البهرة.

البهرة في دول أخرى بالإضافة إلى الهند

البهرة ينتمون إلى دول عدة، فبالإضافة إلى الهند لهم وجود في باكستان التي تحتضن أكبر تجمع للبهرة بعد الهند، ولقد جاءوا إلى القاهرة عام 1979 بهدف ترميم بعض المساجد الفاطمية، وقد وافق الرئيس الراحل أنور السادات على وجودهم وافتتح ترميم مسجد الحاكم بأمر الله معهم عام 1980 بحضور سلطان البهرة الدكتور محمد برهان الدين.

كانت مكة المكرمة والمدينة المنورة مركزين مهمين للدعوة الإسماعيلية، ثم انتقل مركزها من المدينة إلى الكوفة، ومن الكوفة عاد مركزها إلى المدينة المنورة، ومن هناك انتقل المركز إلى شمال أفريقيا ثم إلى مصر، ومن مصر انتقل مركز هذه الدعوة إلى اليمن بقيام الدعاة الفاطميين بعد استنار الأئمة

سنة 526هـ، ومن اليمن انتقل المركز إلى الهند سنة 946هـ ولا يزال منذ أربع وخمسين وأربع مائة سنة.

تاريخ ضارب في أعماق الزمان

ويحسبنا يراه البهرة أنفسهم فإن "التاريخ الحقيقي لجماعة البهرة أبناء الدعوة الفاطمية لم يبدأ فقط أثناء تواجدها المكثف في شبه القارة الهندية منذ منتصف القرن العاشر الهجري، ولا مع ظهور الدولة الفاطمية في المغرب والشرق ابتداء من مطلع القرن الرابع، ولا مع الأفكار الإسماعيلية التي أصبحت تتبلور في القرن الثاني للهجرة. بل أن تاريخ الدعوة في الحقيقة ضارب في أعماق الزمان متغلغل في شيايا العصور إلى أن بعث الله نبيه بعدين".

إن كلمة إسماعيلية كانت في بادئ الأمر، تدل على إحدى الفرق الشيعة الباطنية المعتدلة، ولكنها صارت مع تطور الزمن حركة عقلانية علمية تدل على أصحاب أحزاب سياسية واجتماعية متعددة، وآراء فلسفية وعلمية متنوعة. لقد نشأت الحركة الإسماعيلية نشأتها الأولى سنة 128 هجرية كحركة دينية علمية فلسفية تأويلية باطنية في العراق وفي الكوفة بالذات، نشرها وأرسى دعائمها الفكرية الإمام جعفر الصادق عميد المدارس الفكرية في الإسلام.

نظريات تأويلية فلسفية

وعلماء الحركة الإسماعيلية يذكرون في بعض كتبهم الباطنية الفلسفية أن دعوتهم قديمة قدم هذا الوجود، وقد دعموا هذا القول بنظريات علمية وتأويلية باطنية فلسفية. وهناك قسم آخر منهم يذهب إلى القول بأن حركتهم بدأت في عهد إسماعيل بن إبراهيم الخليل (ع) ويستدلون على ذلك بأراء تأويلية عقائدية. حسبما يرى د. مصطفى غالب في كتابه (الحركات الباطنية في الإسلام).

وتزعم بعض الأسر الإسماعيلية أنها تنتمي إلى المهاجرين الحجازيين إلى مصر. وقد حصلت بالفعل بعض الزيجات الداخلية خصوصاً مع العرب اليمانيين من قسم المستعاليين أكثر الأوقات. وحصل أخيراً الزواج بين السليمانيين والسنة، والشيعة، والهندوس وحتى الأوروبيين. ولكن أكثر أفراد المجتمع البهري لا يتزوجون من خارج مجتمعهم.

تاريخ الجاد

إن أجداد أكثر فرق البهرة في الهند انضموا إلى هذه الفرقة بفعل الدعاة الإسماعيليين. ومن هؤلاء الدعاة شخص اسمه

عبدالله كان قد أرسل من قبل فرقة الإمام المستعلي إلى الهند. ويقال إنه اختار الإقامة في كامباي (غرب الهند) وبأمر بالدعوة النشطة هناك وأمن على يديه الملك (سيدرا جيشنك) ووزيره (بيارمل) وأخوه (تارمل) والدعاة الذين تسلسلوا في الهند هم من نسل الأخوين (بهارمل) و(تارمل) والسلطان الحالي الدكتور محمد برهان الدين هو من نسل (تارمل). ولهذه القصة عدة أطر وأشكال ذكر أحداها في كتاب "الترجمة الظاهرة لفرقة البهرة الباهرة". وتوجد نسخة لهذا الكتاب في مكتبة الجمعية السلطانية في آسيا فرع بومبي. وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزية بواسطة (د.م. جهاوري) تحت عنوان Legendary History of Bohoras. وطبع هذا الكتاب على يد ه.م. فخر (طالب). وكتبت مواضع أخرى، اخصت بمحمد علي، الذي يوجد مزارده اليوم في كامباي ويعد من أوائل دعاة الفرقة المستعالية في الهند (ت 532 هـ - 1137 م). ثم وصلت إلى هذه السلالة كجرات سلالة (جالوكيه الهيلوادا). ويبدو أن سفة الحكم في كجرات لم تعترض سبيل الإسماعيليين ودعاتهم، بل حثتهم على المضي قدماً في دعوتهم، وأحرز هؤلاء نجاحاً في مساعيهم. وفي عام 1297 انتهت فترة حكم هذه السلالة، وعاودت كجرات للتصوي تحت سلطة حكومة دلهي لفترة من الزمن. ولم تصف الأجداء لفرقة البهرة في كجرات، إذ كانوا أحياناً عرضة للاحتفاح ومطاردة بعض الحكام المستعاليين في كجرات 1396 - 1572..

مقر إقامة الرئيس

ظل رئيس هذه الفرقة مقيماً في اليمن حتى عام (946هـ - 1539م) حياً، حيث كان أتباع هذه الفرقة يسافرون لزيارته، ويسدون إليه الحقوق الشرعية، ويستشيرونه فيما يتصدون الإقدام عليه. وفي عام 946هـ هاجر يوسف بن سليمان إلى الهند واختار الإقامة في سيدبور (ولاية كوجرات). وبعد خمسين سنة، أي بعد وفاة الداعية داود بن عبد شاه في عام (996هـ - 1588م) حدث انشقاق في هذه الفرقة، حيث خضع بهرة كجرات والذين يشكلون الأغلبية بين أفراد الفرقة لنص تعيين داود بن قطب شاه خليفة لسلفه، ويمتوا بنص التعيين إلى أصحابهم في اليمن، ولكن بعد فترة، حدث أن ادعى عدد محدود من أفراد هذه الفرقة، أن الخلافة هي لشخص باسم شمس الدين كان يدعي الخلافة الحقيقية لداود بن قطب شاه. ولاتزال هذه الوثيقة محفوظة لدى الدعوة السليمانية ولكن لم تثبت صحتها لا من الناحية القانونية ولا من الناحية العلمية.

يتبع في يوم الأحد المقبل

■ عين بعد تخرجه من الجامعة السيفية مندوباً لمولانا السلطان محمد برهان الدين في كوتنا إحدى مدن الهند لمدة 4 سنوات، ثم مندوباً في كولومبو عاصمة سريلانكا لمدة سنتين.
■ قدم إلى البحرين في العام 2005 ليدبر شؤون طائفة البهرة ويتولى مشيخة الطائفة وإمامتها في المسجد البرهاني وهو المسجد الوحيد لطائفة البهرة في البحرين.
■ له اهتمامات أدبية ويكتب الشعر باللغة العربية والأوردو.

لطائفة البهرة في اليمن والهند.

■ اتجه مع والده إلى مصر للدراسة بجامعة دار العلوم يوم كانت ضمن جامعة الأزهر الشريف حينما كان والده يشرف على تعمير جامع الحاكم بأمر الله، وحصل منها على ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في العام 1995.
■ أكمل دراسته العلمية في الجامعة السيفية التابعة لطائفة في الهند وتخرج منها في العام 1978.

الشيخ مقداً أصغر عبد القادر زين الدين

■ شيخ طائفة البهرة في البحرين ورئيس جمعية البهرة الإسلامية وإمام المسجد البرهاني.
■ ولد في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية في العام 1971م من عائلة هندية.
■ والده كان مهندساً مديناً يعمل في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أن يسمي شيخاً